مجلة تدبر

البحث الرابع

المُنهج القرآني في عَرضِ اقتِراحاتِ المُعاندِين والرَّدِّ عليها

دِراسةٌ تحليليةٌ موضوعيةٌ

د. عليّ بن حميد السّناني

أستاذ مشارك في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

- حاصل على درجة الماجستير تخصص تفسير وعلوم قرآن من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عبر اطروحته: تحقيق جزء من مخطوطة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للعلامة الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣) وهي عبارة عن حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري.
- حاصل على درجة الدكتوراه تخصص تفسير وعلوم قرآن من كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عبر اطروحته: اختيارات الإمام الشوكاني في المعاني التفسيرية من خلال كتابه: فتح القدير، من أول الكتاب إلى آخر سورة الإسراء، دراسة تحليلية.

النتاج العلمي:

- المواضع المنهي عن الصلاة فيها (بحث في الفقه).
- الاتحاف في بيان أن الناس لم يخلقوا للإختلاف (بحث تفسيري).
- خلاصة أقوال المفسرين في الرد على منكري رؤية رب العالمين.
- تنبيه أولي الالباب إلى متعلق ثناء القران على طائفة من أهل الكتاب.

البريد الالكتروني: dr.alialsenani82@gmail.com

مجلة تدبر

مستلخص بحث

أهداف البحث:

١- إلقاء الضوء على أسلوب القرآن في إبطال حجج المعاندين بالحجة والبرهان.

٢- الإفادة من العرض القرآني لآيات الاقتراح في مجال الدعوة، فإن ما يجده الدعاة من عتو وعناد إنما هو سنة ماضية،فعلى الداعية أن يثبت ولا يثنيه إصرار المعاندين باطلاً.

٣- معرفة ما جُبل عليه أولئك المعاندون من إصرار على الباطل مهما ظهر لهم من الآيات.

٤- إبراز التباين بين موقف المؤمنين والمعاندين عند ظهور الآيات، فالمؤمنون يزدادون بها إيمانًا،بينما يزداد بها المعاندون بعداً عن القبول والإذعان، وغيره.

ويُعنى البحث بالوقوف على منهج القرآن في عرض اقتراحات المعاندين وردها وفق منهج استقرائي موضوعي للمادة العلمية وجمعها وتحليلها ووضع عناوين مناسبة لها،وقد أُستهل البحث بتمهيد تضمن تعريف آيات الاقتراح وبيان أن ظهور الآيات والمعجزات رحمة بالناس لبيان الحق لهم،ويستعرض البحث في خاتمته أهم النتائج:

١- أن المعاندين لاحيلة في اقناعهم،لأن مقصودهم مجرد العناد لا طلب الحق،فلا يجدي معهم كثرة الآيات.

٢- بيـان سـعة رحمة الله بأولئـك المعانديـن فقد أمهلهم فلـم يعاجلهم بالعقوبة،ولم يجبهم رحمة بهم.

٣- بيان صفاء معادن الصحابة الكرام فإنهم لما ظهر لهم الحق لأول مرة قبلوه بدون اشـتراط على ربهم، إذ لم يربطوا إيمانهم بظهور آيات يشـترطونها على ربهم.

٤- بيان سـوء أدب أولئك المعاندين مـع الله تعالى، فليس من الأدب أن يشـترط المكلف على ربه شـروطاً يربط بها إيمانه، بل واجبه أن يقول: اللهم بيّن لي الحق وأرشدني لاتباعه، فهو تعالى أعلم بما يصلح عباده.

٥- ماعقّـب الله تعالـى بـه علـى اقتراحات أولئـك المعانديـن تبين عدم أحقيتهم في اقتراحاتهم.

٦- لـم ينزل من الآيات المقترحة إلا المائدة، فقد نزلت كما طلبوا، فلما كفروا بها حل بهم من العذاب مالم يحل بغيرهم.

ثم ختم البحث بفهارس علميه تقرب محتواه.

الكلمات المفتاحية:

منهـج القرآن الكريم الاقـتراح، أهل الكتـاب، المعاندين، المعجزات، عـدم الانتفاع، نماذج من آيات الاقتراح، التعنت والإصرار، الكفر، في إفحام المقترحين.

المقدمة

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد، الحي القيوم الذي لا يموت، ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام، المتكلم بالقرآن، الخالق للإنسان، المنعم عليه بالإيمان، المرسل رسوله بالبيان، محمدًا ﷺ ما اختلف الملوان(١)، أرسله بكتابه المبين، حجةً على العالمين، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، جعل أمثاله عِبرًا لمن تدبَّرها، وأوامره هدًى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرَّق فيه بين الحلال والحرام، وضرب فيه الأمثال، وقصَّ فيه غيب الأخبار، وخاطب به أولياءه ففهموا، وبيَّن لهم فيه مراده فعلموا(٢)، والصلاة والسلام على من بعثه ربه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، خير من بين القرآن، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والإيقان،

وبعد:

فإن من تدبَّر كتاب الله تعالى وتأمَّله؛ سيجد فيه بغيته وربيع نفسه وقُرَّة فؤاده، قَالَ تعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، إذ ما من شيء إلا وفي كتاب الله عنه خبر وبيان، ومن هنا فالاشتغال بِبيان القرآن وتدبُّر معانيه، والوقوف عند حكمه وأحكامه -من أجلِّ المهام وأسنى المطالب، وقد رأيت أن من الموضوعات التي حوتها دفَّتا هذا الكتاب العزيز موضوع

(١) الليل والنهار. ينظر: العين (٨/ ٣٤٤)، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٤)، معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٢).

(٢) اقتبست بعض هذا التقديم من مقدمة الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

المشركين والمعاندين، والجِدال معهم وبيان سوء سيرتهم وأدبهم مع ربهم -جل وعلا- ومع كتبه وأنبيائه وعباده المؤمنين، فرغم ما أظهره الله تعالى من البيِّنات والمعجزات، والبراهين التي أيَّد بها الأنبياء والرُّسُل عليهم السلام، إلا إن فئة من المعاندين والمكابرين أداروا لتلك البينات والمعجزات ظهورهم، فلم يلقوا لها بالًا، فبدلًا من أن يستدلوا بها على الحق؛ ومن ثَـمَّ يقبلونه إن ظهر لهم، لكنهم أخذوا يشترطون على ربهم العديد من الآيات، زاعمين أنهم سيؤمنون ويتابعون، والحقيقة أنهم لو ظهر لهم من البينات عدد نجوم السماء؛ فإنهم لن يزدادوا إلا عنادًا وإصرارًا على سلوك اللَّجاج والمحاجَّة بالباطل؛ لذلك أحببت أن أتطرَّق إلى بعض جزئيات هذا الموضوع، وهو إبراز منهج القرآن الكريم في الرد على مقترحي الآيات؛ بعرض وتحليل نماذج من آيات الاقتراح التي اقترحها أولئك المعاندون على ربهم، وجعلوها شرطًا لإيمانهم في زعمهم، وقد جعلته بعنوان: «**المنهج القرآني في عرض اقتراحات المعاندين والرد عليها، دراسة تحليلية موضوعية**».

أهمية الموضوع وسبب اختياره: وأحسب أن لدراسة هذا الموضوع فوائد جمَّة؛ منها:

- الاستفادة من أسلوب القرآن الكريم في إسكات المعاندين وإبطال حُجَجِهم بالحجَّة والبرهان.
- الإفادة من هذا العرض القرآني لآيات الاقتراح في مجال الدعوة.
- معرفة ما جُبل عليه أولئك المعاندون من إصرار على الباطل ورفض للحق مهما ظهر لهم من الآيات والبينات.

◈ تسـلية الدعاة؛ فإن ما يجدونه مـن المعاندين إنما هو من جنس أفعال مَن سبقهم، فعلى الداعية إذن أن يثبت ولا ينثني لما يجد من تصلُّب في الباطل وعناد من أولئك المعاندين.

◈ إبـراز التبايـن بيـن موقـف المؤمنيـن والمعانديـن عند ظهـور الآيات، فالمؤمنون يزدادون بها إيمانًا، بينما يزداد بها المعاندون بعداً عن القبول والإذعان.

وغير ذلك من الفوائد.

الدراسات السابقة:

موضوع الجدال مع المشـركين ومحاجة المعانديـن وإقامة الحجة على أهل الكتاب وبيان تأييد الله تعالى لرسـله شـغل حيِّزًا في الكتاب العزيز، ومن الطبيعـي أن يُتعـرض له مـن جوانب متعـدِّدة، وهناك جزئيات مـن الموضوع مبثوثة عبر الشـبكة العنكبوتية، لكنه في الحقيقة عبارة عن حطب ليل لا يُعتمد عليه غالبًا، ومن خلال البحث عن جهود سـابقة مماثلة في الموضوع، مما هو عبارة عن عمل بحثي؛ وجدت ما يلي:

١- **المقولات التي أبطلها القرآن الكريم ومنهجه في إبطالها**، وهي رسـالة دكتوراه، من إعداد الطالب: وليد بن عبد المحسـن العمري، نوقشت بجامعة الملك سـعود، وطبعها كرسـي القـرآن الكريم وعلومه فيها، سـنة:١٤٣٦هـ، وموضوعي خاص بالاقتراحات.

٢- **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، للدكتور: حمود بـن أحمد بن فـرج الرحيلي، من منشـورات عمادة البحث العلمـي بالجامعة الإسـلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، وعقـد المصنف فيه مبحثًا

أسماه: إعناتهم للرسول ﷺ بطلب المعجزات والخوارق، وتحدَّث فيه باختصار عن جانب من المعجزات التي اقترحوها.

٣- الإعجاز البياني في آيات الاقتراح في القرآن الكريم، للباحث: أحمد محمد شتيوي منشور عام ٢٠١٢، وقد ركّز الباحث على الإعجاز البياني والسمات البلاغة للردود القرآنية.

٤- كفار قريش وآيات الاقتراح، دراسة في ضوء القرآن الكريم، للباحث سليمان السويكت، نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٠ هـ، وكما يظهر من عنوان البحث فإنه لم يتعرض لما اقترحه غير كفار قريش.

وسيكون سيري في هذه البحث المختصر وَفق الخُطَّة التالية بإذن الله، راجيًا من ربي التوفيق والإعانة والتسديد، فهو خير معين وهو حسبي ونعم الوكيل.

خُطة كتابة البحث:

يتكوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمَّن: أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومنهج كتابة البحث.

التمهيد: ويتضمَّن:

التعريف بآيات الاقتراح.

ظهور الآيات والمعجزات رحمة بالناس.

حُكم اقتراح الآيات على الله.

الفصل الأول: تباين موقف المؤمنين والمعاندين عند ظهور الآيات؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف المؤمنين والمعارضين حِيال الآيات.

المبحث الثاني: أسباب عدم الانتفاع بالآيات.

الفصل الثاني: عرضٌ مُجمَلٌ لنماذج من آيات الاقتراح التي طلبها المعاندون؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اقتراحات أهل الكتاب.

المبحث الثاني: اقتراحات المشركين.

الفصل الثالث: المقترحون والإصرار على الكفر؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مظاهر التعنُّت والإصرار على الكفر واقتراحات المعاندين.

المبحث الثاني: من سمات منهج القرآن الكريم في إفحام المقترحين.

الخاتمة: وتتضمَّن أهم نتائج البحث.

منهج كتابة البحث:

- استقراء المادة العلمية المتعلِّقة بالموضوع، وجمعها وتحليلها، ووضعها تحت عناوين مناسبة لها وفق منهج تحليلي استقرائي موضوعي، وقد اكتفيت بذكر نماذج من الاقتراحات التي وردت في القرآن الكريم؛ وذلك مراعاة للاختصار؛ ولأن الغرض التمثيل لا الاستقصاء، وأحسب أن فيما جمعته كفاية لإيضاح الفكرة؛ وهي بيان منهج القرآن في عرض اقتراحات المعاندين والرد عليها، ودراسة بعض ما جُبِل عليه أولئك المعارضون من عناد وتصلُّب في الكفر، ومباهتة للحق.

◈ التعريف بالمفردة اللغوية، وغير ذلك مما أرى ضرورة بيانه، ومما تتطلَّبه المعالجة البحثية للموضوع باختصار.

◈ كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين، وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع السير مع ترتيب الآيات والسور الكريمة في المصحف الشريف.

◈ التوثيق العلمي لأقوال المفسرين؛ من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، مع بيان طريقتي في الإفادة، وسوف أسير مع المفسرين من خلال كتبهم عند الإحالات دون توسُّع واستقصاء لبحث المسائل خارج كتب التفسير، وعند الإحالة، قد أُحيل إلى اسم المؤلف؛ فأقول مثلًا: انظر تفسير الطبري، وقد أحيل إلى اسم الكتاب، فأقول مثلًا: انظر جامع البيان؛ لأن كلا المنهجين أراه يؤدّي المطلوب.

◈ تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث تخريجًا علميًّا؛ من خلال الرجوع إلى كتب السنة، فما كان في الصحيحين أو في أحدهما خرَّجته منهما، وما لم يكن في الصحيحين؛ فإنني أذكر كلام النقاد المعتبرين حوله صحَّة وضعفًا.

التعريف بما يحتاج إلى تعريف.

تذييل البحث بفهارس علمية تُقرِّب محتواه.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

تعريف آيات الاقتراح

المقصود بآيات الاقتراح: تلك المطالب التعجيزية التي تَقدَّم بها المعاندون لإحراج المُطالب، حسدًا وبغضًا له[1]، أو هي ما اقترحه المعاندون والمعترضون للوحي على ربهم من آيات، ليريهم إياها؛ ليؤمنوا على زعمهم.

ظهور الآيات والمعجزات رحمة بالناس ليعرفوا الحق ويقبلوه:

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأظهر المعجزات وأبان السبيل، كل ذلك لبيان الحق وإقامة الحجة على العباد، فمن شاء الله له الهداية فقد اهتدى، ومن شاء إضلاله فقد غوى وضل وتاه عن الطريق القويم، قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال ﷺ في هذا المعنى: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله إليَّ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[2]، وحينئذ فقد ظهر الحق لمن كان مريدًا الحق، أما من كان معاندًا مصرًّا على الإعراض؛ فلا تجدي معه كثرة الآيات وتنوعها، قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ

---

(١) المعجم الوسيط (قرح)، وراجع رسالة الإعجاز البياني في آيات الاقتراح في القرآن الكريم، ص ٣٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل (٦/ ١٨٢/ ٤٩٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١/ ١٣٤/ ١٥٢).

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]. وغير ذلك مما جاء في هذا المعنى من آيات الكتاب العزيز، فهذا الإباء والرفض والاستمرار على العِناد لم يكن بسبب خفاء الحق وعدم وضوحه، وإنما كان لعيب في النفوس، فهناك فئة من أهل العناد والاستكبار والإباء والعتو لم تُطِق نفوسهم الاستجابة لدين الله، متعللين بعلل وحجج كثيرة، أتى القرآن الكريم على الكثير منها، ومجملها إنما هو بسبب استحكام الهوى في النفوس، ورافق ذلك حب الدنيا والرياسة والتعالي على الخَلْق، فهذا ممهِّد للإعراض والتولي مهما بُذل من جهود في سبيل بيان الحق، وكم ورد في كتاب الله من تلك المعاذير الباطلة للاستمرار على الباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وغيرها من الآيات في هذا المعنى، ولإمعان أولئك المعارضين المعاندين في الصلف والعناد، فقد أخذوا يشترطون على ربهم ظهور آيات ومعجزات لكي يؤمنوا بزعمهم، ومن هذه الاقتراحات الباطلة والاشتراطات ما سيأتي بيانه في الفصل الأول[1] بإذن الله.

حكم اقتراح الآيات على الله عَجَلَّ:

إن مما لا ريب أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم بما يصلح عباده ويقيم أحوالهم، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وغير ذلك من نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة في هذا المعنى، إذن فمن أراد الله تعالى به الخير هداه إلى القبول، ومن أراد الله إضلاله وَلَج باب العناد واللجاج؛ فحلَّ

(١) (سيأتي ص١٠).

بهم العقاب المؤلم عاجلًا أم آجلًا، وليُعلم أن في تغليظ العقاب لمقترحي الآيات تحذيرًا من سلوك سبيلهم، ولا ريب أنه ليس من الأدب مع الله تعالى التقدُّم بين يديه باقتراح الآيات، كما إن الإصرار على الكفر بعد ظهور ما يوجب الإيمان وظهور المعجزات مما هو سبب لنزول أشد العذاب قال الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال ابن كثير: معقِّبًا على تنزيه الله تعالى لنفسه العلية على إثر اقتراح المشركين جملة من الاقتراحات أي: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتقدّس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته، بل هو الفعّال لما يشاء، إن شاء أجابهم إلى ما سألوا، وإن شاء لم يجبهم، وما محمد ﷺ إلا رسول إليهم مبلغ رسالات ربه ناصح لهم، وقد فعل ذلك، وأمرهم فيما سألوه إلى الله ﷻ (١).

قال الواحدي(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]: وإنَّما أخذتهم الصَّاعقة لأنَّهم امتنعوا من الإيمان بموسى عليه السلام بعد ظهور معجزته حتى يُريهم ربَّهم جهرةً، والإيمانُ بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز اقتراح المعجزات عليه؛ فلهذا عاقبهم الله تعالى، وهذه الآية توبيخٌ لهم على مخالفة الرسول ﷺ مع قيام معجزته، كما خالف أسلافهم موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة(٣)، وقال الشوكاني: وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم؛ لأنهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ١٢١) بتصرف.

(٢) الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الإمام، العلامة، الأستاذ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب (التفسير)، صنَّف التفاسير الثلاثة: (البسيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز)، وبتلك الأسماء سمى الغزالي كتبه الثلاثة في الفقه. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٤٠)، طبقات المفسرين للسيوطي (٧٨)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٩٤).

(٣) الوجيز (١/ ١٠٦).

طلبوا ما لم يأذن الله به من رؤيته في الدنيا، وقد ذهبت المعتزلة ومن تابعهم إلى إنكار الرؤية في الدنيا والآخرة، وقد تواترت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة، وهي قطعية الدلالة لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة، وزعموا: أن العقل قد حكم بها، وهي دعوى مبنيَّة على شفا جُرُف هارٍ، وقواعد لا يغتر بها إلا من لم يحظ من العلم النافع بنصيب، وما تمسَّكوا به من الأدلة القرآنية فغير مسلَّم، وكلها خارج عن محل النزاع، بعيد من موضع الحجة(١).

قلت: إذن تقرَّر أن عدم الإيمان بالآيات إنما هو سبب لنزول العقاب العاجل، ولتعلم أن هذا إنما يكون عند الكفر بآية معينة، دون الكفر والتكذيب بمطلق الآيات، فإن الله تعالى يعاجل المشركين بالهلاك إذا كذبوا بالآية المعينة التي طلبوها، أما إذا لم يطلبوا آية معيَّنة، وإنما طلبوا جنس الآيات كما قال فرعون لموسى: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، فإن الله لم يعاجلهم بالهلاك على تكذيبهم، بل يمهلهم ويعطيهم الفرصة لعلهم يرجعون عن غيِّهم، وربما أشكل على هذا كيف نجمع بين هذه الحقيقة الثابتة في القرآن؛ وهي أن الكفر بالآيات بعد نزولها يوجب نزول العذاب العاجل، وبين ما حصل لمشركي قريش، فإنهم لم يؤمنوا ببعض المعجزات والآيات التي أظهرها الله تأييدًا لنبيه ﷺ، ومع ذلك لم يعاجلوا بالعذاب، وقد أراهم القمر شقين كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ويُجاب عنه: أنه ليس في الأحاديث أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يشقَّ لهم القمر شقين، بل سألوا آية غير معينة، ولأجل ذلك لم يكن لزامًا أن يحل بهم العذاب لما

(١) فتح القدير (١/ ١٠٣).

كذبـوا[١]، وقد يقال أيضًـا: إن الله تعالى رحم هذه الآمَّـة، فلم يحل بها عذاب استئصال كما حل بالأمم السابقة؛ كما وقع بقوم صالح، وعلى كل حال، فإن رحمة الله تعالى بأولئك المقترحين عظيمة، فسبحانه ما أحلمه وما ألطفه وما أكثر شفقته ورحمته بعباده كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، قـال الحافظ ابـن كثيـر -رحمـه الله تعالى-: أي هو تعالـى قادر على ذلـك، ولكن حكمته تعالى تقتضي تأخير ذلك؛ لأنه لو أنزلها وَفق ما طلبوا، ثم لم يؤمنوا، لعاجلهم بالعقوبة، كما فعل بالأمم السالفة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقـال تعالـى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: ٤][٢].

وقال في اللباب: معنـاه: لـو أعطاهم مـا طلبوا من المعجـزات القاهرة، فلـو لـم يؤمنوا عند ظهورها لاسـتحقّوا عذاب الاسـتئصال، فاقتضت رحمته صونهـم عن هذا البلاء، فما أعطاهم هذا المطلـوب رحمةً منه -تعالى- لهم، وإن كانـوا لا يعلمـون كيفية هذه الرحمة، ثم إنه -تعالى- علم منهم أن طلبهم هذه المعجـزات لأجل العناد لا لطلب فائدة، وعلم أنـه -تعالى- لو أعطاهم مطلوبهم لم يؤمنوا، فلهذا السـبب ما أعطاهـم؛ لأنه لا فائدة في ذلك[٣]. قلت:

(١) موقع الإسلام سؤال وجواب، *http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=sh owfatwa&Option=FatwaId&Id=333415* عبر الشبكة العنكبوتية.

(٢) تفسير القرآن العظيم بتصرف (٣/ ٢٣٥).

(٣) اللباب لابن عادل بتصرف (٨/ ١٢٢).

وهذا من جنس رحمته تعالى بعباده، فمظاهر الرحمة بالناس كثيرة جدًّا، ومن ذلك عدم المعاجلة بالعقوبة، وعدم التكليف بما لا يُطاق، والاستعطاف ببيان سعة رحمته للمعرضين رغم توليهم، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢]، ولا يهلك على الله إلا هالك، فاللهم اشملنا بواسع رحمتك وعظيم فضلك يا رب العالمين.

الفصل الأول

تباين موقف المؤمنين والمعاندين عند ظهور الآيات

وفيه مبحثان:

۞ المبحث الأول: موقف المؤمنين والمعارضين حِيال الآيات:

قد تباينت مواقف المؤمنين والمعاندين حيال الآيات والمعجزات والبراهين التي أظهرها الله تعالى في كتابه وعلى أيدي رسله الكرام لبيان الحق، ودحْر الباطل وإزهاقه، فقد ذكر الله تعالى في كتابه موقفين متباينين حِيال تلك الآيات والمعجزات عمومًا، سواء المقترحة أم غيرها، فالمؤمنون يزدادون برؤية الآيات إيمانًا ويقينًا، وذلك حينما أنزلوها المنزلة اللائقة بها، وفي المقابل ازداد المعاندون بظهور الآيات بُعدًا، عياذًا بالله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فقد وصف الله تعالى من خلال الآية الحالين، قال الإمام البغوي -رحمه الله تعالى-: وفيه أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾، وفي المقابل يزداد الآخرون مرضًا، كما قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شك ونفاق ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾، كفرًا إلى كفرهم، فعند نزول كل سورة ينكرونها ويزدادون بها كفرًا[1].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١١٤)، وحكي عن مجاهد: هذه الآية إشارة إلى أن الإيمان يزيد وينقص، وكان عمر رضي الله عنه يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: تعالوا حتى نزداد إيمانًا، وقال علي بن أبي طالب: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في

من مسائل الآية الكريمة: اعلم أن في هذه الآية الكريمة دليلاً على مسألة: زيادة الإيمان ونقصانه، وهذا من معتقد أهل السنة والجماعة، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حُكي الإجماع على ذلك غير واحد(١)، قلت: وهذه الحقيقة المقرَّرة في الآية الكريمة، أي التفريق بين حالي المؤمنين والمعاندين حيال الآيات، وأنهما لا يستويان، مبسوطة في آيات كثيرة، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

فقد نفع الله تعالى بظهور هذه الآيات أو المعجزات من أراد له الهداية، وأما من أراد الله تعالى له الشقاء عدلًا، فإنه لا يستفيد بظهور الآيات والمعجزات إلا بعدًا، كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا من جملة شقائهم، أن ما يهدي القلوب يكون سببًا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيئ المزاج لو غُذي بما غُذي به لا يزيده إلا خبالًا ونقصًا(٢).

القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد السواد؛ حتى يسود القلب كله، وقد بحث عن هذه الآثار التي حكاها عمن ذكر فلم أجدها في مظانها، ومعنى لمظة: أي نكتة بياض، واللحظة بالفَرَس: بياض يكون بإحدى جحفلتيه. ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢١١).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٢٣٩). وقد ذكر هذه المسألة في أول البقرة وفي أول الأنفال قائلا: واستدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها، على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة، كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، كما بيّنا ذلك مستقصًى في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة. انظر تفسير القرآن العظيم له ١/ ١٦٥، ٤/ ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٢٩.

قلت: فهناك تباين كبير بين الطائفتين والمنهجين في التعامل مع الآيات التي أظهرها الله تعالى في كتابة وعلى أيدي رسله لكرام، وهنا تظهر معادن المكلفين، فمن أراد الله له النجاة قبلُ وانتفع واتعظ بهذه الآيات، كما قال تعالى عند ضرب الأمثال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وفي مقام الثناء في وصف المؤمنين عند سماع الآيات أو رؤيتها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]،وقال تعالى عند ذكر الأمثال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣]، وهكذا.

لكن الوضع مختلف مع الكفار والمعاندين، فإنهم يستقبلون الآيات بالسخرية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٣- ١٥]، أسند الإمام الطبري عن قتادة ومجاهد، قالا: يسخرون منها ويستهزئون[(١)]، قال في التحرير والتنوير: فالسخرية المذكورة في قوله: ﴿ويسخرون﴾ سخرية من محاجة النبي ﷺ إياهم بالأدلة، والسخرية المذكورة هنا سخرية من ظهور الآيات المعجزات، أي يزيدون في السخرية بمن ظنَّ منهم أن ظهور المعجزات يحول بهم عن كفرهم، ألا ترى أنهم قالوا: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ [الفرقان: ٤٢][(٢)].

---

(١) جامع البيان ٢١/ ٢٤.

(٢) التحرير والتنوير (٢٣/ ٩٨).

المبحث الثاني: أسباب عدم الانتفاع بالآيات:

اعلم أن قسوة القلوب وغلبة الأهواء والحرص على الدنيا وأطماعها من أهم موانع الاستجابة والقبول، وكم نعى الله تعالى على أقوام أنهم لم تَرِقَّ قلوبهم عند مشاهدة الآيات رغم ظهورها، بل ازدادوا قسوة وبُعدًا، ومن ذلك ما عِيب عليه اليهود من قسوة قلوبهم رغم الآيات العجيبة التي رأوها، ومن أظهرها وأبينها قصة إحياء القتيل الذي وُجد ميتًا بينهم، فأُمروا بذبح البقرة لفض النزاع ومعرفة القاتل، وبعد عناء طويل ومحاولات مستميتة امتثلوا الأمر وذبحوا البقرة، وقد حكى الله عنهم ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١]، فأخذوا بعضًا من البقرة، فرموا به الجثة الهامدة؛ فقامت سميعةً بصيرةً بإذن الله، فدل ذلك الميت على قاتله، ثم رجع ميتًا كما كان، فسبحان الله! هذه الآية العجيبة التي رأوها عيانًا من أظهر الأمثلة على عظيم قدرة الله، وأن البعث حق لا مرية فيه، لكنهم بدلًا من أن ترق قلوبهم ويستفيدوا من هذه الآية التي رأوها، فقد ازدادت قلوبهم قسوة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: هذا تضمن توبيخًا لبني إسرائيل، وتقريعًا لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى، وإحيائه الموتى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ كله ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ التي لا تلين أبدًا، ولهذا نهى الله المؤمنين عن مثل حالهم فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] [١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٣٠٤، بتصرف.

وفي هذا السياق وهو عدم الاتعاظ والانتفاع بالآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢- ٤٤]، ففي الآيات تسلية للنبي ﷺ لئلا يحزنه إعراض قومه وتوليهم عنه رغم ما بذل لهم من النصح، فقد سبقهم من الأقوام ما بلغت بهم القسوة أنهم لم يلجؤوا إلى الله ولم يتضرعوا إليه حتى في حال الشدائد والصعاب، ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ فلم يفعلوا، وذلك نتيجة لقسوة قلوبهم ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلما قست القلوب صار الجو مناسبًا للشيطان أن يوقعهم في المعاصي، فوقعوا بها حتى أُخذوا على غِرَّة، ذكر الله تعالى ذلك لئلا يُفعل مثل فعلهم؛ فيحل بالفاعل ما حل بهم.

ثم ليُعلم أن إسباغ النعم مع التمادي في المعاصي استدراج، فكما شنّع تعالى على أولئك الذين سلّى الله تعالى نبيه والمؤمنين بذكر ما حل بهم بأن قلوبهم لم تَلِنْ حتى مع الشدائد، فقد تضمنت الآية خبرًا آخر، وهو أن الله تعالى يعطي العاصي ويفيض عليه من مزيد النعم، من باب الاستدراج له(١)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء

(١) قال في الكليات: الاستدراج: هو أن يُعطي الله العَبْد كل مَا يُريده في الدُّنيا ليزداد غيُّه وضلاله وجهله وعناده؛ فيزداد كل يوم بعدًا من الله تعالى ١/ ١١٣ وبعضهم قال: استدراج الله تعالى العبد: أنه كلما جدَّد خطيئة جدَّد له نعمة، وأنساه الاستغفار، أو أن يأخذه قليلًا قليلًا، ولا يباغته. معجم الفروق اللغوية (١/ ٧٣)، القاموس المحيط (١/ ١٨٨).

ظهورهم، حينها فتحنا عليهم أبواب كل شيء، أي: فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاءٌ لهم، عياذًا بالله من مكره؛ ولهذا قال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾ أي: من الأموال والأولاد والأرزاق ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ أي: على غفلة ﴿ بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ أي: آيسون من كل خير، عند الإمام أحمد: عن عقبة بن عامر[1]، عن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**»، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾[2] [3].

قلت: من لم ينتفع بالآيات التي أظهرها الله تعالى بيانًا للحق وتأييدًا للرسل، فهو ليس بمؤمن، بل قد ألَمَّ بقلبه حائل منعه من الاستفادة، ولعل ذلك يتبين من خلال ما سأعرضه في الفصل الثاني بإذن الله.

---

(١) عقبة بن عامر بن عبس الجهني، أبو حماد. صحابي مشهور، له رواية وفضل كان شجاعًا فقيهًا شاعرًا قارئًا، من الرماة. وهو أحد من جمع القرآن. توفي سنة ٦٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٥٦٨)، الاستيعاب (٣/ ١٠٧٣)، الإصابة (٤/ ٤٣٠)، الأعلام (٤/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد (١/ ١٠٩/ ٣٢١)، أحمد في مسنده (٢٨/ ٥٤٧/ ١٧٣١١). قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن. ينظر: (١/ ١٤٧٧)، وقال الألباني إسناده جيد ينظر: مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٣٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٦) بتصرف، واستطرد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر الروايات عن مفسري السلف في معنى الاستدراج، قائلًا: قال الحسن البصري: «من وسَّع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتَّر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ: ﴿ يَعۡمَلُونَ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾، وقال الحسن أيضًا: مكْر بالقوم ورب الكعبة؛ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا. وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعيمهم، فلا تغتروا بالله، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون). وقال مالك، عن الزهري ﴿ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ قال: إرخاء الدنيا وسترها.

الفصل الثاني

عرض مجمل لنماذج من آيات الاقتراح التي طلبها المعاندون

وفيه مبحثان:

في هذا الفصل سأذكر بإذن الله تعالى نماذج من الاقتراحات الباطلة التي اقترحها المعارضون وشرطوها على ربهم، زاعمين أنهم سيؤمنون إن هم رأوها وظهرت لهم وفق اقتراحهم، وسأذكرها بحسب ورودها في المصحف الشريف، وعند التأمل في هذه الاقتراحات يمكن أن نقسمها إلى قسمين؛ اقتراحات أهل الكتاب، واقتراحات المشركين.

المبحث الأول: اقتراحات أهل الكتاب:

١- طلبهم أن يروا الله جهرة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]، اعلم أنه وإن كان غالب الآيات المقترحة إنما اقترحها المشركون بمكة، كما ستأتي الإشارة إليه في آخر الفصل، لكن هذه الاقتراح المذكور في هذه الآية إنما هي من قِبَل اليهود، إذ لا خلاف بين المفسرين أن هذه الآية نزلت فيهم، كما قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى-: يذكر جل ذكره اختلاف آبائهم -أي اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وسوء استقامة أسلافهم لأنبيائهم، مع كثرة معاينتهم من آيات الله -جل وعز- وعبره ما تثلج بأقلها الصدور، وتطمئن بالتصديق معها النفوس، وذلك مع تتابع الحجج عليهم، وسبوغ النعم من الله لديهم، وهم مع ذلك مرَّة يسألون نبيهم أن يجعل لهم إلهًا غير الله، ومرة يعبدون العِجْل من دون الله، ومرة

يقولون: لا نصدقك حتى نرى الله جهرة، وأخرى يقولون له إذا دعوا إلى القتال: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ثم أسند عن مجموعة من مفسري السلف قالوا: معنى ﴿جَهۡرَةً﴾ أي: عيانًا[1].

٢- طلبهم أن يكلمهم الله وأن تأتيهم آية:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

اختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية على قولين، **الأول**: أنها في اليهود والنصارى، وهو ما أسنده الطبري عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ورجحه، لأن السِّياق فيهم.

والثاني: أنها في مُشرِكي العرب وقد أسنده الطبري عن قَتَادَة، وَالسُّدِّيِّ، ورجحه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم[2]، وعلى كل حال فالآية تُصوِّر لونًا من التعنُّت والاقتراح على الله بغير حق.

٣- طلب نزول كتاب من السماء:

قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ..... فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ﴾ [النساء: ١٥٣]. لا خلاف بين المفسرين أن هذه الآية نزلت في اليهود حين اقترحوا على نبيهم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هذه الاقتراحات، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: قال محمد بن كعب القرظي،

(١) جامع البيان ٢/ ٨١ بتصرف.

(٢) انظر جامع البيان ٢/ ٥٥٠، وتفسير القرآن العظيم ١/ ٣٩٩

والسدي، وقتادة قالوا: سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء. كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة.

قال ابن جريج: سألوه أن ينزل عليهم صحفًا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان، بتصديقه فيما جاءهم به، وهذا إنما قالوه على سبيل التعنُّت والعناد والكفر والإلحاد، كما سأل كفار قريش قبلهم نظير ذلك، كما هو مذكور في: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] الآيات[١].

٤- سؤال نزول المائدة:

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً ..... قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢- ١١٥]، بلا خلاف أن هذه الآية نزلت على إثر سؤال الحواريين نزول مائدة من السماء وعليها من الطعام ما يشتهون، فنزلت كما اقترحوا، فحل بهم من العذاب مالم يحل بغيرهم، وقد روى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو قال: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون»[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأنزل تعالى المائدة آية ودلالة ومعجزة باهرة وحجة قاطعة، ثم ذكر العديد من الروايات عن السلف فيها، وكيفية نزولها، وما كان عليها من الطعام، لكنهم كفروا بها، فاستحقوا بذلك أشد العذاب

(١) وانظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤٤٦ بتصرف.

(٢) تفسير جامع البيان ١١/ ٢٣٣، وقد أخرج الحديث، وبيَّن محققه أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن فيه «أبا المغيرة القواس»، روى عن عبد الله بن عمرو. روى عنه عوف. وسئل أبو زرعة عن اسمه فقال: «لا أعلم أحدًا يسميه». ضعفه سليمان التيمي، ووثقه ابن معين. مترجم له في الكنى للبخاري: ٧٠، وابن أبي حاتم ٤/ ٢/ ٤٣٩،١١/ ٢٣٣.

يوم القيامة، وقد تناقل بعض المفسرين عن مجاهد، والحسن قالا: لم تنزل المائدة، فإن الله ﷻ لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة؛ خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه أسانيد صحيحة إلى مجاهد والحسن، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى، وليس هو في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفَّر الدواعي على نقله، وكان يكون موجودًا في كتابهم متواترًا، ولا أقل من الآحاد، والله أعلم، ولكن الذي عليه الجمهور أنها نزلت، قال: لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، ووعَدَ الله ووعيده حق وصدق، وهذا القول هو -والله أعلم- الصواب، كما دلَّت عليه الأخبار والآثار عن السلف[١]. قلت: وهو ما ذهب إليه جلة المفسرين، وهو الراجح لظاهر السياق القرآني، والعلم عند الله[٢].

المبحث الثاني: اقتراحات المشركين:

نزول مَلَك من السماء يكلمهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾

[الأنعام: ٨، ٩].

لا خلاف بين أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في المشركين، وهو ما لم يذكر غيره أغلب المفسرين.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٣١.

(٢) جامع البيان ١١/ ٢٣٢، ومعالم التنزيل ١/ ٣٩٩، وغيرهم. وهو ما عليه جِلَّة المفسرين.

➢ أن يوحى إليهم كما أوحى إلى الرسل:

يقول تعالى مخبراً عنهم:

﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

- جملة من اقتراحات المشركين أجملها تعالى في آيات من سورة الإسراء:

- أن تفجر لهم ينابيع الأرض.
- وأن تكون للنبي جنة من بساتين تتفجَّر خلالها الأنهار.
- أن تسقط السماء عليهم كسفًا.
- أن يروا الملائكة عيانًا.
- أن يكون للنبي ﷺ بيت من زخرف.
- أن يرقى في السماء فيأتيهم بكتاب يقرؤنه.

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣].

قلت: هذه جملة من الاقتراحات التي طلبوها، وقد تعسفوا فيما طلبوا أيما تعسف.

وفيما يلي شرح لبعض المفردات اللغوية في الآيات: قال صاحب مقاييس اللغة: (نبع)، النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْعَيْنُ كَلِمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا نُبُوعُ الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ

الَّـذِي يَنْبُعُ مِنْـهُ يَنْبُـوعٌ، وَمَنَابِعُ الْمَـاءِ: مَخَارِجُـهُ مِـنَ الْأَرْضِ[1]، وقال أيضًا: (كَسَـفَ)، الْكَافُ وَالسِّينُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَغَيُّرٍ فِي حَالِ الشَّيْءِ إِلَى مَا لَا يُحَبُّ، وَعَلَى قَطْعِ شَـيْءٍ مِنْ شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ كُسُوفُ الْقَمَرِ، وَهُوَ زوال ضَوْئِهِ، وأما الْقَطْعُ فَيُقَالُ: كَسَـفَ الْعُرْقُوبَ بِالسَّيْفِ كَسْـفًا يُكْسِفُهُ. وَالْكِسْفَةُ: الطَّائِفَةُ مِنَ الثَّوْبِ، يُقَالُ: أَعْطِنِي كِسْـفَةً مِنْ ثَوْبِكَ. وَالْكِسْـفَةُ: الْقِطْعَـةُ مِنَ الْغَيْمِ. قَالَ اللهُ تَعالَـى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور: ٤٤][2]، قـال في الصحـاح: (زخرف) الزُخْرُفُ: الذهبُ ثمَّ يُشَـبَّهُ به كل مموَّهٍ مزوَّرٍ. والمُزَخرَفُ: المزين. وزخارف الماء: طرائقه[3].

ومما اقترحوه:

- نزول ملك يرافق النبي ﷺ.
- وأن يُلقى إليه كَنز.
- وأن تكون له جنة يأكل منها.

كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

وفي السياق ذاته:

يريدون أن يُنزل القرآن جملةً واحدة على النبي ﷺ.

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، عامَّة المفسرين أن

(١) مقاييس اللغة (نبَع) ٥/ ٣٨١.

(٢) وانظر مقاييس اللغة ٥/ ١٧٨.

(٣) الصحاح (زخرف) ٤/ ١٣٩٦.

الآية في مشركي قريش(١)، قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- أي: هَلاَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَـذَا الْكِتَابُ الَّذِي أُوحِـيَ إِلَيْهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، كَمَا نَزَلَـتِ الْكُتُبُ قَبْلَهُ، كَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيـلِ وَالزَّبُورِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ. فَأَجَابَهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنَّمَا أُنْزِلَ مُنَجَّمًا فِي ثَلَاثٍ وَعِشْـرِينَ سَـنَةً بِحَسَـبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْـهِ مِنَ الْأَحْكَامِ لِتَثْبِيتِ قُلُـوبِ الْمُؤْمِنِينَ به كَمَا قَالَ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وأن يؤتى مثلما أوتي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٨، ٤٩].

قال مقيِّده -عفا الله عنه-: هـذه الآيـة الكريمة نزلت في مشـركي مكة حينما أمرتهم اليهود أن يسـألوا النبي ﷺ مثل ما أوتي موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم أمر الله نبيه: قل لقريش يقولوا لليهود: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾، وهو ما أسنده الطبري عن مجاهد وغير واحد من المفسرين(٢).

ومن جملة ما اقترحوه -أن يأتيهم بالوحي رجل عظيم، غير محمد ﷺ:

﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ...﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

---

(١) جامـع البيـان ١٩/ ٢٤، ولـم يذكر غيره، وكذلـك القرطبي في الجامـع ١٣/ ١٤، وأجمل ابن كثير فقال: الذين كفروا، بينما قال البغوي: المراد باللذين كفروا، يَعْنِي النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَأَصْحَابَهُ، إِنْ هَـذا، يعني مَـا هَذَا الْقُرْآنُ، إِلَّا إِفْكٌ، كَذِبٌ، افْتَراهُ، اخْتَلَقَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي الْيَهُودَ. انظر تفسيره ٣/ ٤٣٥، والأول هو الأشهر، والعلم عند الله.

(٢) تفسير جامع البيان١٩/ ٥٨٨، وتفسير القرآن العظيم ٦/ ١٠٩.

ومنه: أن يأتيهم النبي ﷺ محلًّى بالأسورة الذهبية مرفوقًا بالملائكة:

كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣].

وبعد: فهذه أمثلة للاقتراحات، فقد تضمَّن ما اقترحوه جملةً من الآيات التي وعدوا بالإيمان إن هي ظهرت لهم كما طلبوا، ومن هذه الاقتراحات: أنهم طلبوا: أن يروا الله جهرةً، وأن يكلمهم، وأن يأتيهم بآية وفق اقتراحهم، وأن ينزل عليهم كتابًا من السماء، وطلبوا مائدة من السماء، وأن يأتيهم مثلما أوتي الرسل، يعني يوحى إليهم كما أوحي إلى الرسل، وطلبوا أن تُفجَّر لهم ينابيع الأرض، وأن تكون للرسول ﷺ جنة من نخيل وعنب يُفجر لهم من خلالها الأنهار، وأن يُسقط عليهم السماء كسفًا، وتأتيهم الملائكة عيانًا، وأن يكون للنبي ﷺ بيت من ذهب، وأن يرقى في السماء ويأتيهم بكتاب يقرؤنه بأنفسهم، وأن يُلقى إليهم من الكنوز، وأن يلقى الكتاب إلى الرسول جملة واحدة، ويُؤتى مثلما أوتي موسى، وأن يُلقى عليه أسورة من ذهب، وأن يأتي معه الملائكة مقترنين، وغير ذلك الكثير...، هذه جملة مما اقترحوه على ربهم، زاعمين أنهم سيؤمنون ويتابعون. وتقدم ما عقّب به القرآن الكريم على هذه الاقتراحات، والله أعلم.

....

الفصل الثالث

المقترحون والإصرار على الكفر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مظاهر التعنُّت والإصرار على الكفر واقتراحات المعاندين:

لقد اتضح من خلال العرض السابق لبعض اقتراحات المعاندين أن أولئك المعاندين لن يؤمنوا مهما ظهر لهم من الآيات، وذلك أن بعضًا مما اقترحوه فيه تعجيز للنبي ﷺ؛ ومن ذلك: طلبهم أن يرقى إلى السماء ويأتيهم بكتاب يقرؤنه، وأن يُفجِّر لهم من الأرض ينبوعًا، ونحو ذلك مما يعد في حقيقته تعجيزًا وتعسُّفًا، ولذلك أخبر تعالى النبي ﷺ مؤيسًا له من متابعة أهل الكتاب له، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وكما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧].

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله تعالى-: يقول تعالى مخبراً عن كفر وعناد المشركين ومكابرتهم للحق، وتصلبهم على الباطل، ومباهتتهم ومنازعتهم فيه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: عاينوه، ورأوا نزوله، وباشروا ذلك ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وهذا كما قال تعالى مخبراً عن مكابرتهم للمحسوسات: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] [(١)]، فالقضية ليست استرشادًا وإنما قصدهم الكفر والمعاندة حرصًا

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤١)، بتصرف.

على حظوظ الدنيا ورياستها، قال السعدي[1]، -رحمه الله تعالى- عند شرح الآية: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، فأي بيِّنة أعظم من هذه البيِّنة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن مَن له أدنى مُسْكَة مِن عقل دفعه، ﴿وَقَالُوا﴾ أيضا تعنتًا مبنيًّا على الجهل، وعدم العلم بالمعقول: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو عليه بزعمهم أنه بشر، وأن رسالة الله لا تكون إلا على أيدي الملائكة[2].

وقال الشنقيطي[3] -رحمه الله تعالى-: أي لو عاينوا ذلك الكتاب المنزَّل، ولمسته أيديهم، لعاندوا، وادعوا أن ذلك سحرهم، وهذا العناد واللجاج العظيم والمكابرة الذي هو شأن الكفار، وقد بينه تعالى في آيات كثيرة من كتابة[4].

قلت: ومن أظهر الأمثلة عل التعنت ورد الحق بعد ظهوره وإلقاء التهم الجزاف ما حصل من فرعون حيال ما أيّد الله تعالى به موسى من البيِّنات

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسِّر، محدِّث، فقيه، أصولي، متكلم، واعظ. ولد في عنيزة القصيم بنجد، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، منهم: محمد بن عبد الكريم الشبل ومحمد بن مانع ومحمد الشنقيطي، ثم درس ووعظ وأفتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي في عنيزة ١٣٧٦هـ. من مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، القواعد الحسان في تفسير القرآن، طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول، والحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين. ينظر: معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٥١).

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا). ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧هـ) واستقر مدرسًا في المدينة المنورة، ثم الرياض، وأخيرًا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١هـ) وتوفي بمكة. سنة ١٣٩٣هـ. له كتب؛ منها (أضواء البيان في تفسير القرآن - و(منع جواز المجاز - ط)، و(منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات). ينظر: الأعلام (٦/ ٤٥)، طبقات النسابين (١/ ١٩٨).

(٤) أضواء البيان بتصرف (١/ ٤٧١).

الواضحات، والمحصِّلة أن فرعون اتهم موسى بأنه ساحر، وقد جاء هذا في القرآن في آيات كثيرة كما قال تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١]، قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: وقال فرعون قولًا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾[1]، أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى[2] وهكذا، إذن القضية في الحقيقة إنما هي إضاعة وقت وتصلب في الكفر، مهما ظهر من الآيات، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ ومن دعا بدعوته ألا يثنيهم ديدن المعارضين للدعوة من إصرار واستكبار، بل إلقاء بالتهم الجزاف، فإن هذه سنة ماضية، أن الأنبياء وأتباعهم سيُتهمون بالتهم الباطلة، وستشوه سمعتهم بغية تنفير الناس منهم، فهذا فرعون يقول عن موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، قلت: والمنافقون في عهد النبي ﷺ قد حكى الله تعالى عنهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: يعنون -لعنهم الله- أصحاب رسول الله ﷺ -رضي الله عنهم-، وقد قالوا: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟! وقد تولى الله سبحانه، جوابهم في هذه المواطن كلها، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، فأكَّد وحصر السفاهة فيهم بعبارة بليغة[3].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٣٠٤).
(٢) المرجع السابق:٥/ ٣٠٤
(٣) المرجع السابق (١/ ١٨٢).

قلت: غير أنه مما يلاحظ في سياق سرد الآيات التي اقترحها المعاندون أن الله تعالى لم يجبهم إلى شيء منها إلا في نزول المائدة، فقد نزلت وفق ما طلبوه كما هو الراجح، فحل بهم أليم العذاب تصديقًا لوعده تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

ومن الملاحظ أيضًا أن الآيات المقترحة إنما جلها ورد في السور المكية، وغالب المجادلة والمحاجَّة هناك إنما كانت حول ما اقترحه المشركون المعاندون، إلا إنه قد جاء مثل ذلك من قبل اليهود أقمأهم الله، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥].

قلت: لم يختلف المفسرون أن هذه الآية نزلت في اليهود حين اقترحوا على موسى عليه السلام أن يريهم الله عيانًا، أو علانية كما أسنده الطبري -رحمه الله تعالى-: عن ابن عباس وقتادة والربيع بن أنس، فعاقبهم الله تعالى بالصاعقة، وهي صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أو نار مع صوت شديد[1]، ولاشك أن هذا مما عيب اليهود عليه، كما عابهم الله تعالى بمزيد حرصهم على البقاء في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦]، فالراجح أن هذه الآية فيها ذم لليهود على مزيد حرصهم على الدنيا وهم أهل كتاب يؤمنون بالميعاد، ومع ذلك فقد فاق حرصهم حرص المشركين الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا بالحساب، وهذا دال على جزمهم بسوء مآلهم وأن ما قدموه من الأعمال السيئة لا يؤهلهم للقدوم على الله؛ لذلك حرصوا على

(١) جامع البيان ٢/ ٨١، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه الآية عند الكلام عن حكم طلب الآيات.

البقــاء في الدنيا، وكرهوا لقاء الله، كما قال تعالى مكذبًا لهم ومبطلًا لمزاعمهم الباطلـة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤، ٩٥]. والله أعلم.

المبحث الثاني: من سمات منهج القرآن الكريم في إفحام المقترحين:

من خلال التأمل فيما عقّب الله تعالى به اقتراحات أولئك المعاندين، فإن الأسلوب القرآني في تعقّب الاقتراحات والرد عليها إنما جاء على أوجه مختلفة، منها:

- **تعنيفهم**، وبيان أنهم غير محقين فيما طلبوا، إذ لا يجوز اقتراح الآيات عليه سبحانه، فليس من الأدب مع الرب تعالى أن يُشترط للإيمان ظهور آيات مقنعة، ولذلك غلّظ عقابهم، فلو أن لما طلبوه وجهًا سنيًا أو مسوغًا مقبولًا لما حصل لهم ما حصل.

- **المعاجلة بالعقوبة**، فلما طلب اليهود رؤيته تعالى، ونزول كتاب عليهم من الســماء، عاجلهم تعالى بالصاعقة، جزاءً لهم وتحذيرًا من ســلوك سبيلهم، وكذلك أصحاب المائدة، فلما طلب الحواريون نزول المائدة فأنزلها الله تعالى وفق اقتراحهم، فلما لم يؤمنوا حل بهم من العذاب ما لم يأت غيرهم من الأمم.

- **التحذير من نزول العقاب العاجل**، وحذرهم سبحانه لما طلبوا نزول الملك من عقاب عاجل لا يُمهلون بعد نزوله طرفة عين للتوبة.

- **الإعراض عن طلبهم**، لما طلب أولئك المعاندون أن يوحى إليهم كما يُوحى إلى الرسل، عقّب الله عليهم بأنه تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤] إسكاتًا لهم وإلجامًا لألسنتهم، فمفاد الخبر أنه تعالى أعلم بمن يصلح لمنصب الاصطفاء للوحي ومن لا يصلح له.

➢ **تنزيه ذاته العلية سبحانه**، لما اقترح المشركون جملة من الاقتراحات؛ ومنها: أن يفجِّر لهم النبي ينابيع الأرض، نزَّه تعالى نفسه العلية عن ساقط قولهم: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أي: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ سُلْطَانِهِ وَمَلَكُوتِهِ، بَلْ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، إِنْ شَاءَ أَجَابَكُمْ إِلَى مَا سَأَلْتُمْ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُجِبْكُمْ، أي: وَمَا أَنَا إِلَّا رَسُولٌ إِلَيْكُمْ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَقَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ، وَأَمْرُكُمْ فِيمَا سَأَلْتُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[1].

➢ **التكذيب لهم ومواجهتهم بالاستفهام التقريعي**، ولما اقترح المشركون أن يؤتى النبي ﷺ كما أوتي موسى: ﴿قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾، أكذبهم الله تعالى مستفهمًا استفهامًا توبيخيًا تقريعيًا: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ﴾، ثم أعقب ذلك الخبر عنهم أنهم أهل هوى: ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

➢ **الالتفات والإعراض عنهم تسفيها لهم**، ولما اقترح المعارضون على ربهم أن ينزل القرآن على نبيه ﷺ جملة واحدة، أعرض عن طلبهم، وأقبل على نبيه مبينًا بعضًا من حِكم تنجيم القرآن: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢]، فالتفت عنهم مُسفِّهًا لهم، غير مُعتدٍّ باقتراحهم.

---

(١) القرآن العظيم ٥/ ١٢١.

➢ **التعقيب بالاستفهام الإنكاري**، ولما اقترحوا على الله أن ينزل القرآن على رجل عظيم بخلاف محمد ﷺ، استفهم منكرًا عليهم اقتراحهم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، استفهام تقريعي، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وبعد: فهذه جملة من تعقُّب الرحمن -جل وعلا- تلك الاقتراحات الباطلة، ظهر من خلالها أن الله تعالى شنّع على أولئك المقترحين. وتوعَّدهم، وقبَّح فعلهم، إذن ظهر من خلال هذا العرض أنهم غير محقين فيما اقترحوه وطلبوه، وأن المؤمن الحق إذا بان له الحق فإنه يقبله ولا يشترط على ربه ظهور آيات ليؤمن، ولئن سجَّل القرآن الكريم على أولئك المقترحين سوء أدبهم مع خالقهم؛ حيث لم يطلبوا من ربهم أن يبين لهم الحق ويهديهم إلى اتباعه، بل اقترحوا عليه تعالى ما ليس من حقهم وما لا يجوز لهم، فقد ظهرت منقبة صحابة رسول الله ﷺ، فإن القرآن لم يسجل عليهم اقتراحًا واحدًا، وإنما آمنوا حالًا لما ظهر لهم الحق، ولم يربطوا إيمانهم بطلب آية؛ فَرَضِيَ الله عنهم ورحمهم.

والله تعالى أعلم

....

مجلة تدبر

الخاتمة

الحمـد لله معطي الجـزل، واهب الفضل، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمة وفضلًا، والصلاة والسـلام على إمام الهدى وقدوة الحنفاء، وعلى آله وصحبه الشـرفاء، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم البعث واللقاء، وبعد:

فقـد يسـر الله تعالى إتمام هذا البحث المختصر الـذي هو جهد مُقلٍّ راجٍ عفو ربه، وقد حاولت أن أصل فيه إلى درجة مُرضِية، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسـي ومن الشـيطان، وأسـتغفر الله من كل ذنب وخطيئة، وقد توصَّلت في خاتمة البحث إلى النتائج الآتية:

◈ إن المعانديـن لا حيلة في إقناعهم، فمهمـا رأوا من الآيات فلن يقبلوا الحـق ولو رأوه عيانًا؛ لأن مقصودهـم مجرَّد العناد لا طلب الحق، فلا تجدي معهم كثرة الآيات وظهور المعجزات.

◈ بيـان صفاء معادن الصحابة الكرام، فإنهم لما ظهر لهم الحق أول مرة قبلوه من دون مماطلة أو اشتراط على ربهم، إذ لم يربطوا إيمانهم بظهور آيات يشترطونها على ربهم.

◈ بيان سـعة رحمـة الله بأولئـك المعاندين، فقد أمهلهـم فلم يعاجلهم بالعقوبـة، ولـم يجبهـم رحمة بهم، وكثيرًا ما يلفت أنظارهم إلى سـعة رحمته، وفتح باب التوبة لأولئك المعاندين رغم إعراضهم.

◈ أن المعارضيـن للذيـن المكذبين للرسـل عليهم السلام قد جُبلـوا على العناد والمشاقَّة، وفي هذا تسلية للرسل عليهم السلام ومن سار على نهجهم من الدعاة.

◈ سوء أدب أولئك المعاندين مع الله تعالى، فليس من الأدب أن يشترط المكلَّف على ربه شـروطًا يربـط بها إيمانه، بل واجبه أن يقـول: اللهم بيّن لي الحق وأرشدني إلى اتباعه.

◈ مـا عقّـب الله تعالـى به علـى اقتراحات أولئـك المعانديـن يُبيِّن عدم أحقيتهم في اقتراح ما اقترحوه.

◈ لـم ينزل من الآيات المقترحـة إلا المائدة، فقد نزلت كما طلبوا، فلما كفروا بها حل بهم من العذاب مالم يحل بغيرهم.

هذه بعض النتائج التي توصَّلت إليها، سائلًا المولى القدير التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣. الأعلام: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزِّرِكْلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس. سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٥. تفسير القرآن العظيم: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. تهذيب الأسماء واللغات: المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عُنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسَّسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٨. الجامع لأحكام القرآن: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر: الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي): الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠. الجرح والتعديل: المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.

١١. الزاهر في معاني كلمات الناس: المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسَّسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

١٢. الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائدًا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣. سير أعلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤. **الطبقات الكبرى**: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.

١٥. **طبقات المفسرين للداوودي**: المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

١٦. **طبقات النسابين**، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٧. **فتح القدير**: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

١٨. **القاموس المحيط**: المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩. **كتاب العين**: المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٠. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢١. **اللباب في علوم الكتاب**: المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٢٢. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٣. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**: المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤. **مشكاة المصابيح**: المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

٢٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**: المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حقَّقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٦. **معجم الفروق اللغوية**: المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٧. **معجـم المؤلفيـن**: المؤلف: عمر بـن رضا بن محمـد راغب بن عبـد الغني كحالة الدمشـق (المتـوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشـر: مكتبة المثنى - بيـروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨. **معجـم مقاييـس اللغة**: المؤلف: أحمد بن فـارس بن زكرياء القزوينـي الرازي، أبو الحسـين (المتـوفى: ٣٩٥هــ)، المحقق: عبد السـلام محمـد هارون، الناشـر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٩. **مغاني الأخيار في شـرح أسـامي رجال معاني الآثار**: المؤلف: أبـو محمد محمود بن أحمد بن موسـى بن أحمد بن حسـين الغيتابي الحنفي بدر الديـن العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠. **المغني عن حمل الأسـفار في الأسـفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)**، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشـر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣١. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٣٢. **الـوافي بالوفيـات**: المؤلـف: صـلاح الديـن خليل بـن أيبك بـن عبـد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشـر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٣. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشـافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٢٤٧

المقدمة ٢٤٩

أهمية الموضوع ٢٥٠

الدراسات السابقة ٢٥١

خطة كتابة البحث ٢٥٢

منهج كتابة البحث ٢٥٣

التمهيد.. ٢٥٥

ظهور المعجزات رحمة بالناس ٢٥٥

حكم اقتراح الآيات على الله ٢٥٦

الفصل الأول: تباين موقف المؤمنين والمعاندين عند ظهور الآيات......... ٢٦١

الفصل الثاني: عرض مجمل لنماذج من آيات الاقتراح التي طلبها المعاندون .. ٢٦٧

الفصل الثالث: المقترحون والإصرار على الكفر ٢٧٥

الخاتمة وأهم النتائج.. ٢٨٣

المصادر ٢٨٥

فهرس المحتويات.. ٢٩١